عن المتعة وتحريمها بعد ان كان امر بها فالتفت الينا المأمون فقال أتحفظانه من حديث الزهري فقلنا يا امير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال استغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال ابو اسحق اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد ابن اسمعيل بن حماد بن زيد بن درهم الازدي القاضي الفقيه المالكي البصري وقد ذكر يحيى بن اكثم فعظم امره وقال كان له يوما في الاسلام لم يكن لاحد مثله وذكر هذا اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه اجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الاصول وله كتاب ورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال اصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع قال فكم اضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم ابكي قال لا تمل البكاء من خشية الله تعالى قال فكم اخفي عملي قال ما استطعت قال فكم اظهر منه قال ما تقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس فقال الرجل سبحان الله قول قاطن وعلم ظاعن وكان يحيى من ادهى الناس واخبرهم بالامور ورايت في بعض المجاميع ان احمد ابي خالد الاحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج القاضي يحيى بن اكثم من بعض المسرجات توقف فقال المأمون اصعد فصعد على طرف السرير ومعه فقال احمد يا امير المؤمنين ان يحيى صديقي وممن اثق به في جميع امره وقد تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى ان فساد امر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا امير المؤمنين والله انه ليعلم اني له على اكثر مما يصف ولكنه لما راى منزلتي منك هذه المنزلة ولكنه لما راى منزلتي منك هذه خشي ان تتغير له يوما ما فاقدح فيه عندك واحب ان يقول لك هذا ليامن مني وانه لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك ابدا فقال المأمون اكذلك هو يا احمد قال نعم يا امير المؤمنين فقال استعين بالله عليكما فما رايت اتم دهاء ولا اعظم فطنة منكما ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة اليه الشائعة عنه والله اعلم بحاله فيها وذكر الخطيب في تاريخه انه ذكر لاحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله من يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا وذكر عنه ايضا انه كان يحسد حسدا شديدا وكان مفتيا متفننا فكان اذا نظر الى رجل يحفظ الفقه ساله عن الحديث واذا راه يحفظ الحديث ساله عن النحو واذا راه يحفظ النحو ساله عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل رجل من اهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه متفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال ما تحفظ من الاصول قال احفظ عن شريك عن ابي اسحق عن الحارث ان عليا رضي الله عنه رجم لوطيا فامسك ولم يكلمه ثم قال الخطيب ايضا ودخل على يحيى بن اكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما راهما يمشيان في الصحن انشأ يقول

يا زائرينا من الخيام ... حياكما الله بالسلام
لم تاتياني وبي نهوض ... الى حلال ولا حرام
يحزنني ان وقفتما بي ... وليس عندي سوى الكلام

ثم اجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال انه عزل عن الحكم بسبب هذه

الابيات ورايت في بعض المجاميع ان يحيى بن اكثم مازح الحسن بن وهب الذي كان في ترجمة اخيه سليمان بن وهب وهو يومئذ صبي فلاعبه ثم جمشه فغضب الحسن فانشد يحيى

يا قمرا جمشته فتغضبا ... فاصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها ... فكن ابدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة ... وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا ... وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقال احمد بن يونس الضبي كان ناهان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن اكثم القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحيى وطرح القلم من يده فقال له خذ القلم واكتب ما املي عليك ثم املى الابيات المذكورة والله اعلم وقال اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار سمعت ابا العيناء في مجلس ابي العباس المبرد يقول كنت في مجلس ابي العاصم النبيل وكان ابو بكر بن يحيى بن اكثم ينازع غلاما فقال ان يسرق فقد سرق له من قبل هذا ذكره الخطيب في تاريخه ان المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزنا ... ولا يرى على من يلوط

قال او ما يعرف امير المؤمنين من القائل قال لا قال يقوله الفاجر احمد بن نعيم الذي يقول

لا احسب الجور ينقضي وعلى ... الامة وال من آل عباس

قال فافحم المأمون خجلا وقال ينبغي ان ينفى احمد بن ابي نعيم الى السند وهذان البيتان من جملة ابيات اولها

انطقني الدهر بعد اخراس ... لنائبات اطلن وسواسي
قاض يرى الحد في الزناء ... ولا على من يلوط من باس
يحكم للامرد الغرير على ... مثل جرير وعباس
فالحمد لله كيف قد ذهب ... العدل وقل الوفاء في الناس
اميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والراس شر ما راس
لو صلح الدين فاستقام لقد ... قام على الناس كل مقياس
لا احسب الجور ينقضي وعلى ... الامة وال من آل عباس

وظني انها اكثر من هذا لكن الخطيب لم يذكر الا هذا القدر ونقلت من امالي ابي بكر محمد بن القسم الانباري المقدم ذكره ان القاضي يحيى بن اكثم قال لرجل يانس به ويمازحه ما تسمع الناس يقولون فيّ قال ما اسمع الا خيرا قال ما اسالك لتزكيني قال اسمعهم يرمون القاضي بالابنة قال فضحك وقال اللهم غفرا المشهور هنا غير هذا وحكى ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ليحيى المذكور وقائع في هذا الباب وان المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا اراد امتحانه فاخلى له مجلسا واستدعاه واوصى مملوكا خزريا وكان المملوك في غاية الحسن فلما اجتمعا في المجلس وتحادثا قام المأمون كانه يقضي حاجة فوقف المملوك فتجسس المأمون عليهما وكان قد تقدم معه ان يعبث بيحيى علما منه ان يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا انتم لكنا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد ويقول

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)